

وتلعب الكفاءات القيادية والكاريسما القيادية دوراً بارزاً في استقطاب الجماهير ودفع الحركة الثورية وسلامة خططها السياسية والعسكرية . وبالرغم من أهمية القيادات الثورية ودورها الطليعي فإن من المؤكد أن غيابها لا يوقف الثورة الجماهيرية ولا يهد من اندفاعها ، بل قد يؤدي على العكس الى تأجج جذوة النضال وارتفاع مستوى الحقد على العدو . وقد يؤثر ضرب الزعماء على الانقلابات ، او العصابات الصغرى او الانتفاضات البلانكية المتعددة على النخبة ، او البؤر الثورية التي لم تتبلور بعد ولم تتغلغل بين الجماهير . ولكن الثورة الفلسطينية حركة جماهيرية تغلغل في كل قرية ومدينة ومخيم داخل الارض المحتلة وخارجها . ولقد تجاوزت هذه الثورة تنظيمها وجماهيرها مرحلة النواة الثورية ، وأصبحت جزءاً من حياة الشعب الفلسطيني الراض للاحتلال الاسرائيلي والاضاع العربية التي أدت الى هذا الاحتلال . وهي تملك من الناحية التنظيمية صفوفاً قيادية اولى وثانية وثالثة ... الخ . وكلما سقط صف حبل لواء النضال الصف الذي يليه . ويعرف كل قائد ثوري ان حمل السلاح ضد العدو يعني ان حياته لم تعد ملكه ، وانه قد يقدمها في كل لحظة على درب النضال الطويل والشاق . الامر الذي يجعل تهديد العدو بقتله جزءاً من حياته اليومية ، وأمرأ اعتاد عليه ولم يعد يشكل بالنسبة له اي ردة معنوي . وليس في الثورة الفلسطينية - او أية ثورة أخرى - قائد واحد يعتبر ان حياته تساوي أكثر مما تقدمه هذه الحياة من دفع للثورة خلال وجوده ، ومما تقدمه للجماهير من مثل عند استشهاده . وينبع حرص القائد الثوري على حياته من حرصه على كل ما هو ثمين في الثورة ، كما تتبع تضحيتها بهذه الحياة عند اللزوم من قناعته المسبقة بأن حياته لم تعد ملكاً له ، وان عليه ان يقدمها بكل رضى ما دام ذلك يعني خدمة الثورة .

وبالإضافة الى جماهيرية الثورة الفلسطينية ، ووجود الصفوف القيادية المتعاقبة ، واستعداد القادة الثوريين لتقديم ارواحهم كضريبة قبلوها عندما رفضوا القهر وحملوا السلاح ، فان ضخامة هدف الرهان - ان يكون الشعب الفلسطيني او لا يكون - يجعل سقوط اي قائد على الطريق عاجزاً عن ايقاف المد الشعبي الجارف والحماسة المتصاعدة ضد العدو .

السوري بالتدخل في الوقت الملائم ، والقدرة على التصدي له اذا ما تدخلت بواسطة الدوريات المعادية التي تحدث عنها بلاغ وزارة الدفاع اللبنانية بتاريخ ٧٢/٨/١٠ والتي كانت تحلق خلال العملية فوق مرجعيون وصيدا وصور والدامور ومسوق البحر على ارتفاعات متفاوتة (النهار ٧٢/٨/١١) .

ويبدو من عناصر اتخاذ القرار ان العملية لم تكن باعتقاد اسرائيل مغامرة سياسية او عسكرية شائكة ، ولم تكن تدخل في جملة أعمال المخاطرة ، او حتى أعمال المخاطرة الحسوبة ، واذا كنا لا نتفق تماما مع التقييم السياسي الاسرائيلي فاننا نجد تقييمها العسكري صحيحاً لا خلل فيه . وهذا ما يجعلنا نضع العملية كلها في اطار استغلال اسرائيل للتفوق الاستراتيجي ، والشلل العربي الناجم عن ضعف ارادة القتال ، بغية القيام بعمليات تكتيكية ناجحة سلفاً ولا تحمل في توقعاتها أي احتمال للفشل او المخاطرة .

ومن المعروف ان اتخاذ قرار المعركة يستند الى حساب احتمالات الخسارة والربح مع وضع هامش حيلة للمناورة . ولا يزع القائد بقواته في المعركة الا بعد ان يضمن بأن الريح المنتظر - مادياً ومعنوياً - سيعوض الخسارة المنتظرة . وهو يبالغ الى حد ما في تصور المخاطر والخسائر ، ويصغر حجم الربح المنتظر ليضمن لنفسه هامش المناورة . فان وجد ان الخسائر المتوقعة اكبر من الربح المنتظر ، ورأى ان الريح في حالة النجاح عاجز عن تمويض النتائج المادية والمعنوية الناجمة عن الخسائر ، أوقف العملية او لجأ الى الابتكار أو الخداع او المفاجأة بأنواعها لتقليل الخسائر وزيادة احتمالات النجاح . ولقد قام الاسرائيليون ولا شك بكل هذه الحسابات ، وكان تقييمهم العسكري دقيقاً لا غبار عليه ولكنه مهروم من الانق السياسي . وقد تثبت الأيام القليلة المقبلة مدى انعكاس هذا الخطأ السياسي على اسرائيل وخاصة بعد الفشل المهين الذي حاق بالعملية كلها .

وما دما في معرض الحديث عن القرار الاسرائيلي فان علينا ان نتحدث عن خلل في التفكير الكامن وراء هذا القرار . ويمثل هذا الخلل في اعتقاد مخططي حرب العصابات الاسرائيلية المضادة بأن ضرب قيادات الثورة الفلسطينية سيشل هذه الثورة ويجعلها عاجزة عن متابعة الصراع .

ان للقيادات ولا شك مكانة هامة وتأثيراً كبيراً ،